راح يضحك منهم ، وقد ظن ان الجندي قد اصابه شيء من الجنون ، ولكنه عندما رأى الناس يتراكضون الى بيوتهم ، والفتيات كففن عن ملء جرارهن واسرعن الى العودة ، وقف سليم في طريقهن محاولا منعهن من الانصياع لاوامر هذا الجندي المجنون، وان عليهن سماع ما يقوله لهن من اذن واخراجه من الاذن الاخرى ، الى ان وجد نفسه فجأة ، يقف في عرض الطريق وحيدا ، دون ان يفقه ما الذي حصل ، وكيف انصاع الناس لكلام هذا الجندي المجنون بينما لم يستمع اليه احد ، ولم يصح من افكاره هذه الا على صوت الرصاص يتناثر بين رجليه ، فوضع طرف قميازه بين اسنانه وولى هاربا ، وقلبه يخفق هلعا ، ثم قبع في المغارة التي كان يسكنها في وسط المخيم . ولم يستطع الخروج ليومين متتاليين ، اذ ما كان يحاول ذلك ويطل برأسه من المغارة ، حتى يلعلع الرصاص حوله ، فيعود وهو يرتعش من الخوف ، حتى انه شعر ذات مرة بانه يكاد يبول في ثيابه ،فاقلع عن فكرة الخروج صابرا على الجوع والعطش ،ومكتفيا بشتم الجنود والبصاق عليهم من داخل المغارة .

ولم تتوقف حكاية منع التجول عند هذه المرة، بل راحت تتكرر المرة تلو المرة، فتمنعه من الذهاب الى الحنفيات وجلب الماء لحبيبته فاطمة ، والتي يدعوها هو « فطومة ست البنات » ، والقيام بما تطلبه من خدمات ، كي لا تتعب ، ولكي يكيد جميع بنات المخيم اللواتي لم ينجحن في محاولاتهن لاستمالة قلبه ، وتحويله عن حب « فطومة » حتى ولا « الست » عايده « ام تنوره قصيره » ، كما كان يسميها ، والتي وعدته بالزواج منه اذا ما احبها وتخلى عن حبه « لفطومة » . رغم ان فطومة متزوجة وام لثلاثة اطفال ، بينما انست عايدة لا تزال صبية كالغزال .

★ ★ ★

وقصة حب سليم البهلول « لفطومة » ، وفقدانه لعقله ، تعود الى اكثر من خمس سنوات ، وهي الفترة التي مضت عليه منذ ان استقر في مخيم جنين ، بعد ان اقام في جميع مخيمات اللاجئين من قبل . وثمة من يردها الى عام « الهجيج الاول » حين كان سليم لا يزال صبيا ، وفاطمة لا تزال طفلة صغيره بعد ، وانه منذ ذلك الوقت وهو يبحث عنها في كل مكان ، ويتنقل من مخيم الى مخيم ، الى ان طاف جميع مخيمات اللاجئين في الجزء الذي لم يحتله الاسرائيليون من فلسطين ، حيث كان يقيم سنة او سنتين علّه يعثر عليها . بل وفي كل مخيمات اللاجئين في لبنان والاردن .

والغريب انه لم يكن يسأل عنها قط . وانما كان يعتمد في بحثه عنها على علامات فارقة في جسدها لم يهتد احد اليها رغم اجتهادهم ، او على دليل آخر لا بد يحتفظ به كل ذلك الوقت ، ولهذا كان دائم الجلوس على درب الحنفيات الى ان اصبح ذلك عادة ثابتة لديه حتى بعد ان وجدها .

هذه هي الرواية التي اجمع عليها اكثرية اللاجئين في المخيم ، على اختلاف القرى والمدن التي نزحوا منها ، ولكن مع اختلاف واحد ، فمنهم من يقول انها حبيبة صباه ، ومنهم من يروي انها لا بد وتكون اخته ، لشدة الشبه بينهما ، ولذلك الحب الذي تغمره به ، وذلك العطف الشديد عليه . فاطمة تطعمه . وفاطمة تغسل له ثيابه وترتقها . وفاطمة تقص له شعره وتقلم اظافره ، بل واسكنته في براكية من التنك بنتها له بنفسها في ساحة البيت المخصصة لها ، ولولا ضيق حماتها به منذ الشهر الاول وطرده رغما عنها لابقته بقربها ، ولما كان يسكن المغارة الواقعة في وسط المخيم ، والتي كانت تستعمل ملجأ للاطفال من غارات الطائرات الاسرائيلية على المخيم ، ومبولة للصغار